جمع القرآن وترتيبه (قراءة في التراث الإباضي)

سليمان بن علي بن عامر الشعيلي(۞)

الملخص:
قضية جمع القرآن الكريم وتوثيقه وترتيبه من القضايا الهامة في علوم القرآن، وردت في الكتب القديمة على شكل روايات، ثم أفردت لها كتب وأبحاث خاصة، وكلها تدور حول كيفية هذا الجمع وأسبابه، وقد نظر المستشرقون إلى القضية نظر ريبة وشك، وحاولوا التشكيك في صحة النص القرآني، مستفيدين من بعض الروايات الضعيفة التي يفيد ظاهرها ما أرادوه، غير أن الناقد البصير يدرك وهن تلك الروايات، وتناقضها مع الصحيح الثابت عن صحابة رسول الله ×. وقد عالجت كتب علوم القرآن هذه المسألة غير أنها لم تنل حظها من البحث في التراث الإباضي الذي يعتقد الباحث أن فيه ما يستحق الدراسة خاصة وأن بعض كبار علماء المذهب ناقشوا هذه القضية منذ وقت مبكر نسبيا، أي القرن الرابع الهجري، كما في كتاب الجامع لابن بركة. تبحث هذه الورقة في معنى الجمع، وما هي وجهة النظر الإباضية في جمع القرآن وترتيبه؟ ومتى جمع؟ وما هي الأدوات التي جمع فيها المصحف؟ وما رأيهم في الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن؟ كل هذه الأسئلة وغيرها ستجيب عنها الورقة في مباحثها التالية.

هدف الدراسة:
كثرت الدراسات حول جمع القرآن، واعتمد أغلبها على الروايات الواردة فيها، واستثمر كل فريق هذه الروايات لصالحه، فبينما يعتقد الكتاب المسلمون بصحة النص وسلامته، ينظر إليه غيرهم بعين الشك والريبة، وما زالت هناك مسائل عالقة تحتاج إلى مزيد من البحث والتأمل، خاصة إذا علمنا أن في كتب الفقةالإباضي، شيئا صالحا يستحق النظر، والبحث. ومن هذه المسائل، جمع القرآن في عهد النبي ×، وأدوات كتابة القرآن الكريم في عهده عليه السلام، والأحرف السبعة، وغيرها من المسائل. غرض هذه الدراسة الكشف عن وجهة نظر الإباضية في جمع القرآن الكريم وترتيبه، ومعنى الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ومقارنة ذلك كله بما هو مدون في علوم القرآن.

إشكالية الدراسة:
نظرا لما تمثله مسألة جمع القرآن الكريم من أهمية ، كان لا بد من جمع شتات الرأي فيها بين المذاهب المختلفة، ومن بينها المذهب الإباضي، سعت الدراسة إلى مناقشة هذه القضية من خلال الإجابة على الأسئلة التالية:

١. ما رأي الإباضية في جمع القرآن، وهل جمع القرآن الكريم في مصحف واحد قبل وفاة النبي عليه السلام أم بعده؟.

(۞)أستاذ مشارك، كلية التربية، قسم العلوم الإسلامية، جامعة السلطان قابوس

٢. ما هي الأدوات التي كان يكتب فيها القرآن الكريم، بين يدي النبي عليه السلام؟.
٣. ما الفرق بين جمع أبي بكر ﷺ للقرآن الكريم، وجمع عثمان ﷺ؟.
٤. ما رأي الإباضية في الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم، وهل هي موجودة اليوم أم لا؟

تكمن أهمية الإجابة عن هذه الأسئلة في الخروج من الخلاف التي تثيره بعض الروايات أن القرآن الكريم في عهد النبي عليه السلام كان يقرآ بقراءات أو لهجات هي غير موجودة اليوم. إذ كان الهدف منها التيسير، ثم أسقطت بعد جمعه الأخير لما كانت سببا للخلاف. في المقابل كيف يمكن للنبي عليه السلام أن يترك القرآن الكريم، وهو المصدر الأول للدين، دون أن يجمعه في مصحف؟ وهل يتصور أن تكون كتابة القرآن الكريم في غير الكاغد والأدم والورق؟

الدراسات السابقة:

أبحاث عدة تناولت جمع القرآن الكريم، ومن زوايا مختلفة، لكنها لم تبحث –حسب اطلاعنا- النقاط التي تعرض لها هذا المقال، فضلا عن الكشف عن ما تضمنته كتب الفقه الإباضي من أراء حول هذه القضية، ومن الأبحاث التي تعرضت للموضوع:

دراسة هشام كمال عبد الحميد، بعنوان الحقيقة والأوهام في قضية جمع القرآن بعد العهد النبوي، ط١، دار البشير، القاهرة، ١٤٣٢هـ، استعرض الباحث مراحل جمع القرآن ورد بعض الشبهات حولها مثل ضياع بعض السور، والآيات، كما ناقش بعض الشبهات التي وردت في كتب الشيعة حول نقص القرآن الموجود بين يدي المسلمين اليوم، ورد شبهات بعض المستشرقين حول تحريف المصحف. وكما هو واضح فإن الدراسة لم تتناول جمع القرآن في عهد النبي ×، ولا أدوات الكتابة، ولا المقارنة بين جمع القرآن في عهد أبي بكر وعثمان، من الحيثية التي ناقشها هذا البحث.

الدراسة الثانية: بعنوان متى جمع القرآن، للباحث السيد محمد الحسيني الشيرازي، من منشورات ديوانية الإمام الشيرازي، الكويت، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، جمع الباحث-كما ذكر في المقدمة- في هذه الدراسة الروايات الواردة في كتاب (الوسائل)، في فضل القرآن وآدابه، وشبهة تحريفه، ورد فكرة نقص القرآن التي ورد في بعض كتب الشيعة.

الدراسة الثالثة: بعنوان كتابة القرآن الكريم في العهد المكي، للباحث: عبد الرحمن عمر محمد اسبينداري، نشرته المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة. اطلع الباحثان على هذه الدراسة بعد الفراغ من كتابة هذا المقال، وقد ناقشت هذه الدراسة تاريخ الكتابة في الجزيرة العربية، والأدلة على كتابة القرآن الكريم في مكة، وفي الفصل الخامس تحدثت الدراسة عن أدوات الكتابة، وتوصلت إلى أن المسلمين كانوا يكتبون على الجلد الرقيق، وبعض أنواع الورق، وهذه النتيجة تتفق مع ما توصل إليه الباحثان في هذا المقال. أما القضايا الأخرى الواردة في المقال فلم تتعرض لها الدراسة المذكورة.

الدراسة الرابعة: بعنوان (جمع القرآن الكريم، دراسة تحليلية لمروياته) للدكتور أكرم عبدخليفة الدليمي، من منشورات دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٦. هذه الدراسة عنيت بجمع المرويات الواردة في جمع القرآن في عهد النبي ×، وفي عهد الخليفتين أبي بكر وعثمان رضى الله عنهما، وحال رواتها، وقد أشار الباحث في الفصل الأول إلى الأدوات التي كتب فيها القرآن في عهد النبي ×، وذكر أن القرآن في معظمه قد كتب في الجلود بجانب الأدوات الأخرى المذكورة في بعض الروايات.

الدراسة الخامسة: بعنوان (جمع القرآن في عهد الخلفاء الراشدين) للأستاذ الدكتور فهد الرومي، تحدثت هذه الدراسة بطريقة تقليدية عن جمع القرآن في عهد الخليفتين أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما، ولم تناقش المسائل التي عني بها هذا المقال.

وكل هذه الدراسات لم تشر إلى رأي فقهاء المذهب الإباضي في هذه المسألة، ونرى أنه من الأهمية بمكان استطلاع أراء الإباضية حول هذه القضية كونهم أول المذاهب الإسلامية نشأة.

المبحث الأول
معنى الجمع

الجمع في اللغة أصلٌ واحدٌ كما يقول ابن فارس، يدلُّ على تضامٍّ الشيء[1]. فالْجَمْعُ ضَمُّ المتفرِّقِ بتقريبِ بعضِهِ من بعضٍ، وَهُوَ خِلاَفُ التَّفْرِيقِ وَهُوَ مَصْدَرُ جَمَعَ يَجْمَعُ مِنْ بَابِ مَنَعَ.

يقال: جَمَعْتُ الشَّيْءَ عَنْ تَفْرِقَةٍ أَجْمَعُهُ جَمْعًا وَأَجْمَعْتُهُ، وَجَمَّعْتُهُ بِالتَّثْقِيلِ مُبَالَغَةٌ فَاجْتَمَعَ وَاجْدَمَعَ.

وَالْجَمْعُ الدَّقَلُ؛ لأَنَّهُ يُجْمَعُ وَيُخْلَطُ مِنْ تَمْرٍ خَمْسِينَ نَخْلَةً، وَقِيلَ: كُلُّ لَوْنٍ مِنَ النَّخْلِ لاَ يُعْرَفُ اسْمُهُ فَهُوَ جَمْعٌ، ثُمَّ غَلَبَ عَلَى التَّمْرِ الرَّدِيءِ، وَمِنْهُ الْحديثُ: >بِعِ الْجَمْعَ بِالدَّرَاهِمِ ثُمَّ ابْتَعْ بِالدَّرَاهِمِ جَنِيبًا<.

وَالْجَمْعُ أَيْضًا الْجَمَاعَةُ، تَسْمِيَةٌ بِالْمَصْدَرِ، وَيُجْمَعُ عَلَى جُمُوعٍ مِثْلُ فَلْسٍ وَفُلُوسٍ.

وَجَمْعٌ اسْمٌ لِلْمُزْدَلِفَةِ، إِمَّا لأَنَّ النَّاسَ يَجْتَمِعُونَ بِهَا، وَإِمَّا لأَنَّ آدَمَ اجْتَمَعَ هُنَاكَ بِحَوَّاءَ وَازْدَلَفَ إِلَيْهَا أَيْ دَنَا.

والجمع: مصدر قولك: جمعت الشيء، والجمع: المجتمعون، وجمعه: جموع، والجماعة والجميع والْمَجْمَع والْمَجْمَعَةُ: كالجمع.

وفي الحديث: له سَهْمُ جَمْعٍ،أي له سهمٌ من الخير جُمِعَ فيه حظَّانِ، وقيل: أراد بالجمع الجيشَ، أي: كسَهمِ الجيشِ من الغنيمة[2].

الجمع إذن إما اسم أو مصدر وكله يدور حول جمع المتفرق وضم بعضه إلى بعض.

أما في الاصطلاح فيطلق الجمع ويراد به الحفظ في الصدور ومنه قوله تعالى ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾[القيامة: ١٦-١٧]، قَالَ ابن عباس: جَمْعُهُ لَكَ فِي صَدْرِكَ وَتَقْرَأَهُ[3]، وفي الحديث عن قَتَادَةُ قَالَ: سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ: مَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ×؟ قَالَ أَرْبَعَةٌ، كُلُّهُمْ مِنَ الأَنْصَارِ: أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَبُو زَيْدٍ[4]

ويطلق الجمع ويراد به تأليف السور المتفرقة وجمعها في صحف، كما في ورد عن علي أن أبا بكر أول من جمع ما بين اللوحين[5].

والمعنى الأخير هو الذي نقصده من هذا البحث، وهو جمع سور القرآن الكريم وتأليفها وترتيبها في مصحف واحد. ونظرا لاختلاف العلماء

(١) ابن قارس، مجمع مقاييس اللغة ، ١: ٤٧٩
(٢)ينظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة (جمع)، ٦٧٨/١، الراغب الاصفهاني، المفردات، ٢٠٢/١
(٣)رواه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الوحي، باب ٤، انظر فتح الباري، ١: ٣٩
(٤)الأزهري، تهذيب اللغة، ١/ ٣٩٧، والحديث رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، رقم الحديث ٥٠٠٤ (٦٦٣/٨)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أبي بن كعب رقم الحديث: ٢٤٦٥. انظر صحيح مسلم مع شرح النووي (١٩/١٦)
(٥)ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ١٢/٩

في هذا الجمع، أي جمع القرآن في مصحف، هل تم ذلك في عهد النبي ×، أم قام به الخلفاء الراشدون من بعده، يحسن بنا أن نناقش في المبحث التالي رأي الفريقين والأدلة التي يستند أليها كل فريق.

المبحث الثاني
جمع القرآن في عهد النبي ×

ورد في الروايات الصحيحة أن القرآن قد جمع في عهد النبي ×، غير أنه اختلف في معنى هذا الجمع ، فجمهور العلماء ، ومنهم جمهور الإباضية، يرون أن هذا الجمع ما هو إلا الجمع في الصدور، بينما يرى آخرون ومنهم بعض الإباضية، أن النبي × لم يغادر الحياة إلا والقرآن مجموعا في مصحف واحد، ولكل دليل يستدل به.

أدلة القول الأول:

أولا: الأدلة النقلية

١. روى الإمام الربيع[٦] في صحيحه، باب ما جاء في من جمع القرآن في عهد النبي ×:أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أنس بن مالك قال: >ما جمع القرآن على عهد رسول الله × إلا ستة نفر كلهم من الأنصار، أبي ومعاذ، وزيد، وأبو زيد، وأبو أيوب، وعثمان، والباقي من الصحابة قد يحفظ السور المعدودات من القرآن، ومنهم من يحفظ السورة والسورتين<[٧].

٢. وفي البخاري حدثنا حفص بن عمر حدثنا همام ، حدثنا قتادة قال: >سألت أنس بن مالك ﷺ: من جمع القرآن على عهد النبي ×؟ قال: أربعة كلهم من الأنصار، أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد<[٨].

وفي رواية أخرى:

حدثنا معلى بن أسد، حدثنا عبد الله بن المثنى قال حدثني ثابت البناني وثمامة عن أنس قال مات النبي ولم يجمع القرآن غير أربعة أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد. قال ونحن ورثناه[٩].

فجعل أبا الدرداء مكان أبي بن كعب.

وقد وردت روايات أخرى أن عددا من الصحابة كان قد جمع القرآن في عهد النبي × منهم الخلفاء الأربعة، وعبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وعبدالله بن عمرو بن العاص، فقد أخرج النسائي عن عبدالله بن عمرو قال: جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة..<[١٠].

---

(٦)الربيع بن حبيب بن عمرو الأزدي الفراهيدي العماني، ولد بغضفان احدى قرى الباطنة من عمان، ثم انتقل إلى البصرة لطلب العلم ، تتلمذ على يد الإمام جابر بن زيد، وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وضمام بن السائب، عدله الإمام احمد، وأورده ابن حبان في الثقات ، ووثقه يحيى بن معين وعلي بن ا لمديني، وترجم له الذهبي. انظر، محمد ناصر، والشيباني، معجم أعلام الإباضية ، قسم المشرق، ص ١٥٢

(٧)السالمي ، شرح الجامع الصحيح، ١: ١٩-٢١، قال الشارح: والواضح أن يقول أبو أيوب مكان أبي زيد، فإن أبا زيد خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة أحد بني النجار من الخزرج أما أبو زيد الجامع للقرآن فهو سعد بن عبيد بن النعمان فهو من الأوس، وقيل أن الجامع للقرآن أبو زيد ثابت بن زيد الانصاري.. ١/٢٠-٢١

(٨)أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من الصحابة، رقم الحديث ٥٠٠٣

(٩)أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من الصحابة، رقم الحديث ٥٠٠٤

(١٠)انظر، ابن حجر ، فتح الباري، ٩/ ٥٣

وأخرج الإمام أحمد في مسنده عَنْ أُمِّ وَرَقَةَ بِنْتِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ الأَنْصَارِيِّ وَكَانَتْ قَدْ جَمَعَتِ الْقُرْآنَ وَكَانَ النَّبِيُّ × قَدْ أَمَرَهَا أَنْ تَؤُمَّ أَهْلَ دَارِهَا، وَكَانَ لَهَا مُؤَذِّنٌ، وَكَانَتْ تَؤُمُّ أَهْلَ دَارِهَا[١١]

هذه هي أصح الروايات في شأن جمع القرآن في عهد النبي ×، ويرى شراحها أن المقصود بهذا الجمع هو الحفظ في الصدور[١٢].

قال الإمام السالمي[١٣] في شرح الجامع الصحيح: >والمراد به في هذا الحديث -أي الأول - جمع القرآن في الحافظة<[١٤]. ويرى أصحاب هذا القول أن القرآن في عهد النبي ×، كان مكتوبا كله، غير أنه لم يكن مجموعا في مصحف واحد. قال السالمي في شرح الجامع: وقد كان القرآن كتب كله في عهد رسول الله ×، لكنه غير مجموع في موضع واحد[١٥]... ونقل عن البيهقي معنى قول زيد بن ثابت (كنا عند رسول الله نؤلف القرآن من الرقاع): يشبه أن يكون المراد به تأليف ما نزل من الآيات المفرقة وجمعها فيها وهذا عين ما رواه أبو عبيدة[١٦].

قال الحارث المحاسبي في كتاب (فهم السنن) >وكتابة القرآن ليست بمحدثة فإنه × كان يأمر بكتابته، ولكنه كان مفرقا في الرقاع، والأكتاف والعسب، فإنما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعا، وكان ذلك بمنزلة أرواق وجدت في بيت رسول الله × فيها القرآن منتشرا فجمعها جامع، وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء<[١٧].

خلاصة هذا القول: أن القرآن - في عهد النبي × - لم يكن مجموعا في مصحف واحد، يدل على هذا ما نقله ابن حجر في الفتح في فتح الباري: عن زيد بن ثابت، قال: >قبض رسول الله × ولم يكن القرآن جمع في شيء<[١٨].

ثانيا: الأدلة العقلية

استدل أصحاب هذا القول بأدلة عقلية فقالوا إنَّما ترك النبي ×، جمع القرآن في مصحف واحد لاعتبارات كثيرة، منها[١٩]:

---

(١١)أخرجه الأمام أحمد في المسند، مسند القبائل ، ٥٥٤/٧، حديث رقم ٢٦٧٣٩، وانظر السيوطي، الإتقان، ١: ٢٠٣

(١٢)انظر، ابن حجر ، فتح الباري، ٤٨/٩

(١٣)العلامة عبدالله بن حميد بن سلوم السالمي العماني، من بني ضية ، ولد ١٢٨٦هـ، ببلدة الحوقين من أعمال الرستاق، تعلم على يد والده وبعض مشايخ الرستاق، ثم انتقل إلى الشرقية ولازم الشيخ صالح بن علي الحارثي، يعد السالمي علما بارزا في مسيرة النهضة العلمية والإصلاحية في عصره، ترك آثارا علمية قيمة، منها كتاب معارج الآمال، موسوعة في الفقه المقارن، توفي ١٣٣٢هـ. انظر محمد ناصر، الشيباني، معجم أعلام الإباضية، ص ٢٧٢

(١٤)السالمي، شرح الجامع الصحيح، ٢٠/١

(١٥)هذه عبارة ابن حجر العسقلاني في الفتح، نقلها الإمام السالمي، انظر فتح الباري، ١٢/٩

(١٦)السالمي، شرح الجامع الصحيح، ٣٤ :١ بتصرف

(١٧)انظر السيوطي ، الاتقان، ص ٣٨٥

(١٨)ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ١٢/٩

(١٩)شرعي محمد زيد، جمع القرآن عبر العصور ، ص ٤٤، نقلا عن إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٤٤٦/٧)، والإتقان (١٦٤/١)، ومناهل العرفان (٢٤٨/١-٢٤٩)، ودليل ودلائل النبوة (١٥٤/٧).

أنَّه لم يوجد من دواعي كتابته مجموعًا في صحف أو مصاحف مثل ما وجد على عهد أبي بكر، حتى كتبه في صحف، ولا مثل ما وجد في عهد عثمان، حتى نسخه في مصاحف، فالمسلمون وقتئذ بخير، والقراء كثيرون، والإسلام لم تتسع دولته، والفتنة مأمونة، والتعويل لا يزال على الحفظ أكثر من الكتابة ، وأدوات الكتابة غير ميسورة ، والنبي عليه السلام بين أظهرهم، وعنايته باستظهار القرآن تفوق الوصف، فلا خوف على ضياع شيء منه في تلك المدة.

كذلك فإن النبي عليه الصلاة والسلام كان بصدد أن ينزل عليه الوحي بنسخ ما شاء الله نسخه من القرآن، ولو جمع القرآن في مصحف واحد وقتئذ لكان عرضة لتغيير المصاحف كلما وقع نسخ .

أن القرآن لم يَنْزِل جملة واحدة ، بل نزل منجمًا في مدى عشرين سنة أو أكثر، ولم يكن ترتيب الآيات والسور على ترتيب النُّزول، ولو جُمِع القرآن في مصحف واحد وقتئذ لكان عرضة لتغيير المصاحف كلما نزلت آية أو سورة.

قال الخطابي >وإنما لم يجمع × القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه، أو تلاوته، فلما انقضى نزوله بوفاته، ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة فكان ابتداء ذلك في يد الصديق بمشورة عمر<(٢٠).

قال الزركشي: >فثبت أن القرآن كان على هذا التأليف والجمع في زمن النبي ×، وإنما ترك جمعه في مصحف واحد ، لأن النسخ كان يرد على بعض، فلو جمعه ثم رفعت تلاوة بعض لأدى إلى الاختلاف واختلاط الدين، فحفظه الله في القلوب إلى انقضاء زمن النسخ، ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدون<(٢١).

أدلة القول الثاني

أولا: الأدلة النقلية

استدل القائلون بأن النبي × قد أمر بجمع القرآن في مصحف واحد، بأدلة عقليه ونقلية، أما الأدلة النقلية فمنها :

١. أخرج الإمام الربيع في صحيحة، باب ما جاء في جمع القرآن:أبو عبيدة قال: >بلغني أن رسول الله × كان إذا نزلت عليه آية قال اجعلوها في سورة كذا وكذا، وفي موضع كذا وكذا ، وما توفي رسول الله × إلا والقرآن مجموع متلو<(٢٢).

(٢٠)ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ١٢/٩، السيوطي ، الاتقان، ٣٧٧
(٢١)الزركشي، البرهان، ١: ٣٢٩
(٢٢)أخرجه الإمام الربيع في ا لمسند، الباب الثالث، ما جاء في جع القرآن، ١: ٣٣، قال الشارح: الحديث مرسل لسقوط الصحابي، وأبو عبيدة أدرك بعض الصحابة ... وفي الحديث البلاغ، وأبو عبيدة في غاية من التثبت ، فالخبر في قوة المتصل، انظر، السالمي ، شرح الجامع الصحيح، ١: ٣٣

٢. أخرج الحاكم بسند على شرط الشيخين عن زيد بن ثابت قال: >كنا عند رسول الله × نؤلف القرآن من الرقاع<[٢٣]. قال البيهقي >يشبه أن يكون المراد به تأليف ما نزل من الآيات المتفرقة في سورها، وضمها فيها بإشارة النبي ×.

كما استدلوا أيضا بالأحاديث نفسها التي استند إليها أصحاب القول الأول، والتي أخرجها الإمام الربيع، والبخاري بأن عددا من الصحابة جمعوا القرآن، وأولوها بأن المراد بالجمع هنا الكتابة لا الحفظ، قال الزرقاني: >وذهب بعضهم إلى أن الجمع في حديث أنس المذكور مراد به الكتابة لا الحفظ، وبعضهم المراد به الجمع بوجوه القراءات كلها..<[٢٤].

ثانيا: الأدلة العقلية

يرى القائلون بهذا الرأي أن القرآن حجة الله على خلقه وقد احتوى على أصول الدين والشريعة، فليس من المنطق ولا العقل أن يتركه النبي × مفرقا غير مجموع، أليس في ذلك مدعاة للاختلاف والتنازع في كتاب الله، وكيف يتصور ذلك في مصدر الدين الأول.

قال العلامة ابن بركة العماني[٢٥] في كتابه الجامع:

>وإني لأعجب ممن يقبل من المسلمين قول من يزعم أن رسول الله ترك القرآن الذي هو حجته على أمته والذي تقوم به دعوته والفرائض التي جاء بها من عند الله، وبه يصح الذي بعثه الله داعيا أليه ، مفرقا في قطع الحرف الذي لم يجمعه ولم يضمه ولم يحصه، ولم يحكم الأمر في قراءته، ومن يجوز الاختلاف فيها وما لا يجوز ، وفي إعرابه ومقداره وتأليف سوره، وهذا لا يتوهم على رجل من عامة المسلمين ، فكيف برسول الله ×.....وقد كان للنبي × كتاب يكتبون الوحي لا يدفع ذلك صاحب خبر ولا حامل أثر.... فإن لم يكن القرآن مجموعا مكتوبا في زمان رسول الله × فأي شيء كان يكتب هؤلاء؟ وكيف يجوز على القوم الذين ذكرنا أحوالهم أن يتركوا جمع القرآن والوقوف على تأليفه ومقدمه ومؤخره ، وهو إنما أنزل عليهم وفيهم على ما تقدم....

قال: وقد روي أصحاب الحديث الذي لا يبالون ما رووا على أصحابهم أن القرآن كان مفرقا حتى جمعه أبو بكر الصديق، وروى آخرون أن الذي جمعه عثمان بن عفان، وأنهم أخذوا آية من هنا وأخرى من هناك، وأن الرجل كان يجيء بالآية ويسأل عنها الشهود ثم يكتب، وأن زيد بن ثابت لما أمره عثمان بن عفان أن يكتبه في المصحف فقد آيتين حتى وجدهما

(٢٣)اخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، باب جمع القرآن لم يكن مرة واحده، واخرجه أحمد في المسند ٥: ١٨٥، وأخرجه الترمذي في السنن، كتاب المناقب (٥٠) باب فضل الشام واليمن، حديث رقم ٣٩٥٤

(٢٤)الزرقاني، مناهل العرفان، ١: ٢٤٤

(٢٥)أبو محمد عبدالله بن محمد بن بركة السليمي البهلوي، الشهير بابن بركة من كبار علماء القرن الرابع الهجري، ولد بنواحي صحار ثم انتقل اليها واستقر بها واليها ينسب. كان اصوليا وفقيها ومتكلما يعتبر أول من كتب في أصول الفقه من الإباضية، من تلاميذه ابو الحسن البسيوي. انظر محمد ناصر، والشيباني، معجم الإباضية ، قسم المشرق، ص ٢٨٤-٢٨٥

عند رجلين من الأنصار. وأن زيدا وغيره من الصحابة تولوا تأليف السور والآيات، وهذه أخبار مطعون عليها ، ويقال إن الزنادقة قد دسوا الزيادات والأحاديث في أحاديث الأمة، بل الأدلة قد قامت من طريق العقل أن السور كانت معروفة مؤلفة في زمان رسول الله ×، وأن القرآن كان قد فرغ من جمعه ، وقد روي عبدا لله بن عمرو قال: أرسل إلي رسول الله × فقال له: ألم أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار، قال : قلت: بلي يا رسول الله ، قال : اقرأ القرآن في شهر، قلت: أطيق أفصل من ذلك ، فقال أقرأه في عشرين، فقلت: إني أطيق أفضل من ذلك ، فقال: إقرأه في سبع لا تزد< فلو لم يكن القرآن مجموعا مؤلفا كيف كان عبدالله بن عمرو يقرؤه في شهر أو في سبع؟

وروي عن الشعبي، وهو الإمام في علم القرآن، قال: لم يجمع القرآن على عهد رسول الله × إلا ستة كلهم من الأنصار، فلو لم يكن القرآن مجموعا على عهد رسول الله ×، ولم يكن كلما أنزل عليه مؤلفا بأمر رسول الله × كيف كان يجمعه ويحفظه هؤلاء الستة.

وعن قتادة عن أنس قال: جمع القرآن على عهد رسول الله × من الأنصار: أبيّ ومعاذ وزيد وأبو زيد وأبو أيوب، والأكثر من الصحابة قد يحفظ من القرآن السور المعدودة، وفيهم من يحفظ السورة والسورتين، والقرآن كله قد كان فيهم محفوظا متلوا، ألا ترى أن كثيرا منا اليوم ممن لا يقرأ القرآن ظاهرا لو قرأ بين يديه قارئ منه شيئاً، فزل عن موضعه وأسقط كلمة لأثبته لذلك، وأشعر لذلك وأنكره.

وروي أن جبريل عليه السلام كان ينزل كل عام فيقرئ رسول الله × عرصة ذلك العام مرتين، وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال حين صنع عثمان بالمصاحف ما صنع، والله الذي لا إله غيره ما نزلت سورة إلا وأنا أعلم حيث أنزلت، وما من آية إلا وأنا أعلم فيمن أنزلت، قال: إذا كانت الآية إذا نزلت قال رسول الله × اجعلوها في موضع كذا، ويدل على ما قلنا ما روي عن النبي × أنه قال: >من تعلم القرآن فنسيه حُشر يوم القيامة أجذم< فلو لم يكن القرآن مجموعاً محفوظاً في عهد رسول الله × لم يكن لذكره هذا الوعيد معنى.

وروي عنه × أنه قال: >عرضت علي الذنوب فلم أر أعظم ذنبا ممن حمل القرآن ثم تركه<، وفي بعض ما ذكرنا ما يدل على أن القرآن في عهد رسول الله × قد كان مجموعاً محفوظاً والله أعلم.

ونظرا لمكانة ابن بركة العلمية، فقد اعتمد عليه من جاء بعده من فقهاء الإباضية، ونقلوا كلامه دون تعليق وممن نقل عنه ، العلامة الشقصي في منهاج الطالبين[٢٦]، والكندي في بيان الشرع[٢٧]، وغيرهم، وقد حاولنا

(٢٦)الفقيه العلامة خميس بن سعيد بن علي الشقصي، أحد أقطاب العلم والسياسة في النصف الثاني من القرن العاشر، والنصف الأول من القرن الحادي عشر، ولد بنزوى ثم انتقل إلى الرستاق، وتزوج من أم الإمام ناصر بن مرشد بعد وفاة زوجها، عقد الإمامة للإمام ناصر بن مرشد اليعربي، وكان عضده الأيمن، له مؤلفات جليلة منها الموسوعة الفقهية ، منهاج الطالبين، في

أن نتأول كلام العلامة ابن بركة ومن جاء بعده أن مقصودهم بالجمع هو الحفظ في الصدور، لما تشير إليه بعض عباراتهم، وأيضا فإن أكثر الأدلة التي استدلوا بها في كلامهم قد تأولها الجمهور بأن المقصود بها الحفظ في الصدور، وعليه لن يبقى بين الرأيين خلاف، غير أن هذا الفهم قد لا يسوغ مع نفي ابن بركة أن يكون القرآن الكريم قد جمع في غير العهد النبوي، بل ذهب إلى أبعد من ذلك فطعن في الروايات التي ورد فيها أن أبا بكر الصديق، وأن عثمان بن عفان قد جمعا القرآن.

هذا والذي يظهر أن قدماء الإباضية لم ينفردوا بهذا الرأي فالسيد محمد الحسيني الشيرازي ذكر رواية أن جبريل نزل بآخر آية (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله)[البقرة:٢٠٨]، وقال للنبي × >ضعها في رأس المائتين والثمانين من سور البقرة< ثم قال تعليقا عليها:

>فإنه صريح في أن الله تعالى أمر نبيه يجمع القران وبترتيبه ترتيبا دقيقا حتى في مثل ترقيم الآيات وقد فعل النبي × ذلك في حياته ، كما أمره الله تعالى ، ولم يكن ليترك القرآن متفرقا حتى يجمعه من بعده

كما ذكر رواية أخرى عن الإمام الصادق أن النبي × أمر عليًّا قائلاً >يا علي القرآن خلف فراشي في المصحف والحرير والقراطيس فخذوه واجمعوه ولا تضيعوه كما ضيعت اليهود التوراة، فانطلق علي فجمعه في ثوب أصفر، وختم عليه<(٢٨).

ثم نقل عن السيد المرتضى اتفاق فقهاء الشيعة على ذلك... ويرى الشيرازي إن جمع عمر وعثمان على فرض صحته إنما هو إتلاف باقي المصاحف التي بيد الصحابة، وإبقاء المصحف الكامل(٢٩).

يتبين مما سبق حرص الصدر الأول من علماء الإباضية على التأكيد على جمع النبي × للقرآن، ليبقى هذا الكتاب وثيقة ربانية بعيدا عن عمل البشر، وهم بذلك يرفضون الروايات التي تشير إلى غير ذلك إن لم يمكن تأويلها، ولعل المنطق العقلي يؤيد هذا الرأي ذلك أن القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع، ولا يعقل أن يتركه النبي × عرضة للتنازع والاختلاف. غير أن الأدلة النقلية التي وردت في الصحاح تذكر صراحة أن أبا بكر الصديق هو أول من جمع القرآن. ولا يوجد المحذور الذي يخشاه هؤلاء من هذا الجمع إذ أن الأسباب كلها متوافرة في عهد الصديق ﷺ لتبلغ به أعلى درجات الضبط والإتقان، من توفر الحفظة من جهة، ووجود النسخ المكتوبة من جهة أخرى.أما الأحاديث الواردة في جمع الصحابة للقرآن في عهده × فإنما تعنى الجمع في الصدور، وأن حملها على الجمع الكتابي –كما

عشرين جزءا، توفي أيام دولة الإمام سلطان بن سيف الأول. انظر محمد ناصر ، والشيباني، معجم أعلام الإباضية ص ١٠٩

(٢٧)ابن بركة، كتاب الجامع، ١/ ٥٩-٦٦، وانظر الكندي، بيان الشرع، ١: ١٧٩-١٨٣، الشقصي ، منهاج الطالبين، ١/٢٢٩-٢٢٦

(٢٨)السيد محمد الشيرازي، متى جمع القرآن، ص ١٢-١٤

(٢٩)السيد محمد الشيرازي، متى جمع القرآن، ص ٣١

ذكر العلامة ابن حجر في الفتح-فيه تكلف[٣٠]. نعم كان النبي يأمر بكتابة كل آية تنزل، ويأمر بوضعها في مكانها من السورة، ثم يقرؤها على الصحابة فيحفظونها، فهذا تأويل ما ورد من الرواية >وما توفي رسول الله × إلا والقرآن مجموع متلو<[٣١]. قال الشيخ الجزائري في التبيان: >كان القرآن ينزل شيئا فشيئا، وكان النبي ×، يأمر بكتابة ما نزل منه، وكان كثير من الصحابة يحفظونه في صدروهم ، غير أنه لم يكن في عهده مجموعا في موضع واحد<[٣٢].

أخرج ابن أبيداؤد في المصاحف بإسناد حسن عن عبد خير قال: سمعت عليا يقول: >أعظم الناس في المصاحف أجرا أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر، كان أول من جمع كتاب الله< قال الحافظ: رواية عبد خير عن علي أصح فهو المعتمد[٣٣].

هذا وقد ذكر الحاكم في المستدرك: أن القرآن الكريم قد جمع ثلاث مرات: أحدها بحضرة النبي ×، ثم أخرج بسند على شرط الشيخين عن زيد بن ثابت قال: >كنا عند رسول الله × نؤلف القرآن من الرقاع<[٣٤]، قال البيهقي >يشبه أن يكون المراد به تأليف ما نزل من الآيات المتفرقة في سورها ، وضمها فيها بإشارة النبي ×<.

الثانية: بحضرة أبي بكر. وساق حديث زيد الذي رواه البخاري في جمع القرآن.. ثم ذكر ما أخرجه ابن أبيداؤد في كتاب المصاحف بسند حسن عن عبيد قال: سمعت عليا يقول: >أعظم الناس في المصاحف أجرا أبو بكر ، رحمة الله على أبي بكر هو أول من جمع كتاب الله<.

>أخرج ابن أشته في كتاب المصاحف عن الليث بن سعد قال: أول من جمع القرآن أبو بكر، وكتبه زيد...<.

قلت - أي السيوطي - ومن غريب ما ورد في أول من جمعه ما أخرجه ابن أشته في كتاب المصاحف من طريق كهمس عن ابن بريدة ، قال: >أول من جمع القرآن في مصحف سالم مولى أبي حذيفة، أقسم لا أرتدي رداء حتى أجمعه، فجمعه، ثم ائتمروا ما يسمونه ؟ فقال بعضهم سموه السفر، قال: ذلك اسم تسميه اليهود فكرهوه، فقال: رأيت مثله بالحبشة يسمى المصحف، فاجتمع رأيهم على أن يسموه المصحف< إسناده منقطع، وهو محمول على أنه كان أحد الجامعين بأمر أبي بكر.

---

(٣٠)انظر ، ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ٥١/٩

(٣١)أخرجه الإمام الربيع في المسند، الباب الثالث، ما جاء في جع القرآن، ١: ٣٣، قال الشارح: الحديث مرسل لسقوط الصحابي، وأبو عبيدة أدرك بعض الصحابة ... وفي الحديث البلاغ، وأبو عبيدة في غاية من التثبت ، فالخبر في قوة المتصل، انظر، السالمي ، شرح الجامع الصحيح، ١: ٣٣

(٣٢)الجزائري ، التبيان، ص ٩٩

(٣٣)العسقلاني، فتح الباري، ١٢/٩-١٣

(٣٤)أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، باب جمع القرآن لم يكن مرة واحده، واخرجه أحمد في المسند ٥: ١٨٥، وأخرجه الترمذي في السنن، كتاب المناقب (٥٠) باب فضل الشام واليمن، حديث رقم ٣٩٥٤

والجمع الثالث هو ترتيب السور في زمن عثمان[٣٥].

وروى ابن وهب في موطئه عن مالك، عن ابن شهاب، عن سالم بن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، قال: جمع أبو بكر القرآن في قراطيس، وكان سأل زيد بن ثابت ذلك فأبى، حتى استعان عليه بعمر بن الخطاب، ففعل[٣٦] وعن ابن شهاب قال >لما أصيب المسلمون باليمامة فزع أبو بكر وخاف أن يهلك من القراء طائفة، فأقبل الناس بما كان معهم وعندهم، جمع على عهد أبي بكر في الورق، فكان أبو بكر أول من جمع القرآن في الصحف<[٣٧]

كل هذا يؤيد القول أن القرآن الكريم إنما جمع في مصحف واحد في عهد الصديق ﷺ، قال ابن حجر: جمع في الصحف في عهد أبي بكر كما دلت عليه الأخبار الصحيحة المترادفة[٣٨].

أما بالنسبة للروايات التي تنفي جمع القرآن في عهد النبي ×، فتعني الجمع الكتابي في مصحف واحد. قال القسطلاني: وقد كان القرآن كله مكتوبًا في عهده ×، لكن غير مجموع في موضع واحد، ولا مرتب السور[٣٩].

(٣٥)انظر ، السيوطي، الإتقان، ٣٨٢-٣٨٧
(٣٦)العسقلاني ابن حجر، فتح الباري، ٩/ ١٦، طاهر الجزائري، التبيان، ١٠١
(٣٧)العسقلاني ، ابن حجر، فتح الباري، ٩/ ١٦
(٣٨)فتح الباري، ١٦/٩
(٣٩)إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٤٤٦/٧)

المبحث الثالث

ترتيب الآيات والسور في المصحف

ترادفت النصوص ووقع الإجماع أن ترتيب الآيات توقيفي بلا شبهة(٤٠).

قال الزركشي: بعد أن ذكر قصة جمع عثمان للمصحف "وفي هذه إثبات أن الصحابة جمعوا بين الدفتين القرآن المنزل من غير زيادة ولا نقص والذي حملهم على جمعه ما جاء في الحديث أن كان مفرقا في العسب واللخاف وصدور الرجال، فخافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظته فجمعوه وكتبوه كما سمعوه من النبي ×، من غير أن قدموا شيئا أو أخروا. وهذا الترتيب كان منه × بتوقيف لهم على ذلك، وأن هذه الآية عقب تلك الآية، فثبت أن سعي الصحابة في جمعه في موضع واحد، لا في الترتيب، فإن القرآن الكريم مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب الذي هو في مصاحفنا الآن..<(١/٣٣٠).

أما ترتيب السور فاختلف فيه على ثلاثة أقوال:

القول الأول أنه بتوقيف من النبي ×

القول الثاني: أنه كان باجتهاد من الصحابة.

القول الثالث: أن ترتيب بعض السور كان بتوقيف من النبي ×، وترتيب بعضها كان باجتهاد من الصحابة(٤١).

هذا مختصر ما ورد في ترتيب القرآن الكريم أما علماء الإباضية فسبق أن نقلنا عن ابن بركة وتبعه من جاء بعده مثل خميس الشقصي، وجميل السعدي وغيرهم أنهم لا يشكون في أن تأليف الآيات، بل والسور كلها كان بتوقيف من النبي ×، ويرفضون الأقوال التي ترى أن تأليف السور أو بعضها كان عن طريق الصحابة، يقول ابن بركة:

>وكيف يجوز على القوم الذين ذكرنا أحوالهم أن يتركوا جمع القرآن والوقوف على تأليفه ومقدمه ومؤخره ، وهو إنما أنزل عليهم وفيهم على ما تقدم....

قال: وقد روي أصحاب الحديث الذي لا يبالون ما رووا على أصحابهم أن القرآن كان مفرقا حتى جمعه أبو بكر الصديق، وروى آخرون أن الذي جمعه عثمان بن عفان، وأنهم أخذوا آية من هنا وأخرى من هناك، وأن الرجل كان يجيء بالآية ويسأل عنها الشهود ثم يكتب، وأن زيد بن ثابت لما أمره عثمان بن عفان أن يكتبه في المصحف فقد آيتين حتى وجدهما عند رجلين من الأنصار. وأن زيدا وغيره من الصحابة تولوا تأليف السور والآيات ، وهذه أخبار مطعون عليها ، ويقال إن الزنادقة قد دسوا الزيادات والأحاديث في أحاديث الأمة، بل الأدلة قد قامت من طريق العقل أن السور كانت معروفة مؤلفة في زمان رسول الله ×، وأن القرآن كان قد فرغ من جمعه..<(٤٢).

---

(٤٠)انظر الزركشي، البرهان، ٣٥٤/١، الجزائري ، طاهر، التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن، ص ١٠٥-١٠٩

(٤١)الجزائري، طاهر، التبيان، ص ١٠٩

(٤٢)ابن بركة ، الجامع، ٥٩/١، الشقصي، منهج الطالبين، ٢٢٢/١

ونقل جميل السعدي عن صاحب كتاب الإرشاد قوله: >وإني لأعجب ممن يقبل من المسلمين قول من زعم أن رسول الله ×، ترك القرآن الذي هو حجة الله على أمته والذي تقوم به دعوته ، والفرائض التي جاء بها من عند الله، ولم يجمعه ولم يضعه ولم يخطه ولم يخصه، ولم يحكم الأمر في قراءته، وما يجوز من الاختلاف فيها وما لا يجوز في إعرابه ومقداره وتأليف سوره، وهذا لا يتوهم على رجل من عامة المسلمين، فكيف برسول الله ×...

قال: >وأول ما أنزل بالمدينة البقرة، وأخر ما أنزل براءة، فلو كانوا إنما ألفوا السور على تقدير رأيهم لقدموا في المصحف المقدم، وأخروا المؤخر، ففي تقديمهم سورة البقرة وتأخيرهم براءة دليل على أنهم اتبعوا ولم يبتدعوا<(٤٣).

وعلى الرغم من نسبة القول بأن ترتيب السور كان باجتهاد من الصحابة إلى جمهور العلماء، وقال بالثالث جمع من المحققين منهم ابن عطية، وأبو جعفر بن الزبير(٤٤)، غير أن الأدلة العقلية والنقلية التي مر بعضها(٤٥)، تؤيد القول الذي جزم به علماء الإباضية، أن تأليف السور كان بتوقيف من النبي ×، وهو قول طائفة من علماء القرآن، مثل أبي بكر بن الأنباري، وأبو جعفر النحاس، وابن الحصار وغيرهم(٤٦). ولا شك أن القراء من الصحابة كالخلفاء الأربعة، وزيد بن ثابت وأبي وابن مسعود، قد سمعوا القرآن كاملا من النبي ×، وقرأوا عليه، وكلهم متفقون على هذا الترتيب ولم ينقل عن أحد منهم خلاف ذلك. أما قيل عن ترتيب مصاحفهم-إن صح- فذلك أمر خاص بهم.

(٤٣)جميل السعدي، قاموس الشريعة، ١٧٥/٣-١٧٨ بتصرف، وانظر الشقصي، منهج الطالبين، ٢٢٢/١
(٤٤)الجزائري ، التبيان، ١٠٩
(٤٥)انظر بعضا من هذه الأدلة في الزركشي، البرهان، ٣٥٦/١-٣٦٠
(٤٦)المصدر نفسه، ١١٠، وذكر

المبحث الرابع

الأدوات التي كتب فيها القرآن في عهد النبي ×

يؤخذ من قول متقدمي الإباضية أن القرآن كان مجموعاً في عهد النبي ×، أنه كان مكتوبا في الرقاع والجلود مضموما بعضه إلى بعض، بينما يذهب جمهور علماء القرآن، أن القرآن كان يكتب في عهد النبي × بالإضافة إلى الرقاع، في الألواح والعسب واللخاف وما تيسر من أدوات الكتابة ويعتمدون على الحديث الذي أخرجه البخاري، ونصه:

عن الزُّهْرِيُّ قال: أَخْبَرَنِي ابْنُ السَّبَّاقِ أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيَّ، وَكَانَ مِمَّنْ يَكْتُبُ الْوَحْيَ، قال: أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ الْيَمَامَةِ وَعِنْدَهُ عُمَرُ، فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ: إِنَّ الْقَتْلَ قَدِ اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِالنَّاسِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ فِي الْمَوَاطِنِ فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرْآنِ، إِلاَّ أَنْ تَجْمَعُوهُ، وَإِنِّي لأَرَى أَنْ تَجْمَعَ الْقُرْآنَ. قَالَ: أَبُو بَكْرٍ قُلْتُ لِعُمَرَ كَيْفَ أَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللهِ ×؟ فَقَالَ: عُمَرُ هُوَ وَاللهِ خَيْرٌ. فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي فِيهِ حَتَّى شَرَحَ اللهُ لِذَلِكَ صَدْرِي، وَرَأَيْتُ الَّذِي رَأَى عُمَرُ. قال زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: وَعُمَرُ عِنْدَهُ جَالِسٌ لاَ يَتَكَلَّمُ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ وَلاَ نَتَّهِمُكَ، كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللهِ ×، فَتَتَبَّعِ الْقُرْآنَ فَاجْمَعْهُ. فَوَاللهِ لَوْ كَلَّفَنِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ. قُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلاَنِ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ النَّبِيُّ ×؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: هُوَ وَاللهِ خَيْرٌ. فَلَمْ أَزَلْ أُرَاجِعُهُ حَتَّى شَرَحَ اللهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ اللهُ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقُمْتُ فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الرِّقَاعِ وَالأَكْتَافِ وَالْعُسُبِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ، حَتَّى وَجَدْتُ مِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ آيَتَيْنِ مَعَ خُزَيْمَةَ الأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهُمَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ: (لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) إِلَى آخِرِهِمَا. وَكَانَتِ الصُّحُفُ الَّتِي جُمِعَ فِيهَا الْقُرْآنُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ(٤٧).

هذه هي رواية الإمام البخاري للحديث وقد ورد فيها فيما يخص أدوات الكتابة قول زيد(٤٨):

>فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال<، وهناك روايات أخرى فيها بعض الاختلاف، ففي بعضها (والرقاع)، وفي أخرى: (وقطع الأديم)، وفي أخرى: (والأكتاف)، وفي أخرى: (والأضلاع)، وفي أخرى: (والأقتاب)(٤٩).

(٤٧)رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن باب (لقد جاءكم رسول من أنفسكم)، رقم الحديث ٤٦٧٩ انظر الصحيح مع شرحه فتح الباري (١٩٤/٨) وفي كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن، رقم الحديث ٤٩٨٦ (٦٦٦/٨)

(٤٨)أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، ٣ باب جمع القرآن، حديث رقم: ٤٩٨٦

(٤٩)طاهر الجزائري، التبيان، ص ١٠١

قال ابن حجر: >فتتبعت القرآن أجمعه<، أي من الأشياء التي عندي وعند غيري، قوله (من العسب): بضم المهملتين ثم موحدة جمع عسيب وهو جريد النخل، كانوا يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض، وقيل العسيب طرف الجريدة العريض الذي لم ينبت عليه الخوص، والذي ينبت عليه الخوص هو السعف، ووقع في رواية ابن عيينة عن ابن شهاب >القصب، والعسب، والكرانيف وجرائد النخل< ووقع في رواية شعيب (من الرقاع)، جمع رقعة وقد تكون من جلد أو ورق أو كاغد، وفي رواية عمار بن عزية >وقطع الأديم<، وفي رواية أبت أبي داؤد من طريق أبي داؤد الطيالسي عن إبراهيم بن سعد >والصحف<. قوله (واللخاف) بكسر اللام ثم خاء معجمة خفيفة وأخره فاء جمع لخفة بالفتح : هي الحجارة الرقاق،.. (والأكتاف) جمع كتف وهو العظم الذي للبعير أو الشاة، كانوا إذا جف كتبوا فيه. وفي رواية (والأضلاع)، ورواية (والأقتاب) بقاف مثناة، آخره موحدة جمع قتب بفتحتين وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه[٥٠].

ولا يمكننا في الحقيقة إنكار صحة الحديث غير أن لنا عليه الملاحظات التالية:

أولاً: هذه الأدوات – لمن يعرفها - لا تصلح في نظرنا للاحتفاظ بالمكتوب، وإنما هي-الأضلاع والألواح منها خاصة- وسيلة من وسائل التعليم كان يستخدمها أهل القرى والبوادي للكتابة عليها ريثما يقرأ التلميذ الآيات المكتوبة أو يحفظها ثم يمحوها ليكتب غيرها. وتستخدم دون غيرها لسهولة المحو والإزالة منها، وعليه فلا يمكننا القول أنها كانت وسيلة للاحتفاظ بسور القرآن الكريم.

ثانيا: بعض الأدوات المذكورة –بجانب أنها لا تصلح للاحتفاظ بالمكتوب فيها- يتعذر الاحتفاظ بأعداد منها كاللخاف، والكرانيف، والأقتاب، وحتى العسب نظرا لأحجامها، وهي في الوقت نفسه عرضة للضياع.

ثالثا: كان القرآن الكريم أعظم ما حوته أيديهم، فمن غير المتصور أن يكتبوه في هذه الأدوات –إلا للتعليم- وقد ثبت أنهم يكتبون في أدوات أخرى أيسر حفظا، واثبت كتابة كما سيأتي.

رابعا: من المعلوم أنه كان للنبي × كتاب للوحي، يكتبون بين يديه ما نزل من القرآن أولا بأول، ولا نتصور أنهم كانوا يكتبون في مثل هذه الأدوات، وإلا امتلأ بيت النبي × منها.

وإذا كان الأمر كذلك، فإننا نرجح أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يكتبون ما نزل من القرآن الكريم في الكاغد وقطع الأديم، إن لم يكن في القراطيس، أما ما يكتب بين يدي النبي × فإننا نكاد نجزم أنه لم يكن يكتب في غيرها، وإليك الأدلة على ذلك.

(٥٠)العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري، ٩/ ١٤

أولا: كتب النبي × أول وصوله المدينة وثيقة بين المسلمين واليهود[٥٢]، ولا يتصور أن تكتب هذه الوثيقة في الأدوات الواردة في حديث زيد، غير الأديم.

ثانيا: ثبت في الصحيحين عنه × أنه كتب إلى هرقل...وكتب إلى كسرى.. وكتب إلى النجاشي.. وكتب إلى المقوقس.. وكتب إلى المنذر بن ساوي.. وكتب إلى ملك عمان كتابا وبعثه مع عمرو بن العاص..وكتب إلى صاحب اليمامة، كما كتب النبي × إلى مسيلمة ، وكتب إلى أهل نجران[٥٣]. وكتب أيضا كتابا لملوك حمير حين قدموا عليه مقدمه من تبوك[٥٤].

ثم ذكر ابن القيم >نص كل كتاب من الكتب المذكورة<[٥٥]، وقد ثبت من صور بعض هذه الكتب الواردة في بعض المخطوطات أنها مكتوبة في قطع من الجلد، أو نوع من القرطاس، ولا يتصور أن تكتب في غير ذلك. إذ ورد في رواية >أن كسرى مزق كتاب رسول الله × فدعا عليه أن يمزق الله ملكه<[٥٦]، وهو شاهد قوي على أن الكتاب كان في صحيفة.

قال ابن خلدون في المقدمة:

>وكانت السجلات أولاً لا تتساخ العلوم وكتب الرسائل السلطانية والإقطاعات والصكوك في الرقوق المهيأة بالصناعة من الجلد لكثرة الرقة وقلة التأليف صدر الملة... فاقتصروا على الكتاب في الرق تشريف للمكتوبات وميلا به إلى الصحة والإتقان.. ثم طما بحر التأليف والتدوين وضاق الرق على ذلك فأشار الفضل بن يحيى بصناعة الكاغد[٥٦].

ثالثا: كان قادة الجيوش يكتبون لرسول الله ×، فقد كتب خالد بن الوليد إلى رسول الله × بإسلام بني الحارث بن كعب لما بعثه إليهم، وكتب إليه رسول الله ×، ولما ولى عليهم عمرو بن حزم كتب له كتابا عهد إليه فيه عهده[٥٧] وكتب كتابا لوفد همدان[٥٨]، وكتاب الصلح بينه وبين قريش في الحديبية[٥٩]، ولا شك أن هذه الكتب لم تكتب إلا في قرطاس أو جلد على أقل تقدير.

رابعا: أخرج أبو داؤد عنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: كُنَّا بِالْمِرْبَدِ فَجَاءَ رَجُلٌ أَشْعَثُ الرَّأْسِ بِيَدِهِ قِطْعَةُ أَدِيمٍ أَحْمَرَ، فَقُلْنَا: كَأَنَّكَ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ؟ فَقَالَ: أَجَلْ. قُلْنَا: نَاوِلْنَا هَذِهِ الْقِطْعَةَ الْأَدِيمَ الَّتِي فِي يَدِكَ، فَنَاوَلَنَاهَا فَقَرَأْنَاهَا

(٥١)محمد الصادق عرجون، محمد رسول الله ن ٣/ ١٧٥
(٥٢)ابن القيم ، زاد المعاد، ٣/٦١١، ٦٣١-٦٣٦
(٥٣)ابن هشام، السيرة النبوية، ٤/٢٣٥
(٥٤)انظر ابن القيم، زاد المعاد، ٣/٦٨٨-٦٩٦ بتصرف
(٥٥)انظر البيهقي، دلائل النبوة، ٤/٣٨٨
(٥٦)ابن خلدون، المقدمة ٢/٨٨٩
(٥٧)ابن هشام، السيرة النبوية، ٤/ ٢٣٩-٢٤٣
(٥٨)ابن هشام، ٤/ ٢٤٥
(٥٩)انظر البيهقي، دلائل النبوة، ٤/ ١٤٦

فَإِذَا فِيهَا: مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَى بَنِي زُهَيْرِ بْنِ أُقَيْشٍ..[٦٠]. وهذا نص في المراد.

وإن قيل: إن هذا كان في المدينة وقد توفرت لهم أسباب الكتابة حين كان لهم دولة، فنقول: إن الحال في مكة كان كذلك، بل الجلود في مكة إن قريش كانت تستخدم الجلود –لوفرتها- للمعاوضة في تجارتها إلى الشام، ومن ذلك أيضا >أن قريش حينما أرسلت وفدها إلى النجاشي ليرد من لجأ إليه من المسلمين ، أهدوا له ما يتطرف من متاع مكة ، وكان ما أعجب ما يأتيه منها –كما يذكر ابن هشام- الأدم، فجمعوا له أدما كثيرا<[٦١].

ثم إن قريشا نفسها عندما أرادت مقاطعة بني هاشم، كتبت ذلك-كما يذكر في كتب السيرة- في صحيفة وعلقتها على الكعبة[٦٢].

وأن النبي نفسه كتب كتابا إلى النجاشي، يطلب فيه حسن معاملة المسلمين الذين لجأوا إليه، وأرسله مع جعفر بن أبي طالب[٦٣].

ومما يستدل به على أن القرآن الكريم كان يكتب في أيام الدعوة الأولى في جلود أو صحف، ما تذكره كتب السيرة من قصة إسلام عمر بن الخطاب ﷺ، أنه وجد مع أخته وزوجها صحيفة كتب فيها سورة طه، أو سورة الحديد[٦٤].

وأخرج البيهقي في الدلائل عن عمر بن الخطاب، أنه لما نزل قوله تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله)[الزمر:٥٣]، قال عمر: فكتبتها بيدي كتابا (وفي سيرة ابن هشام: في صحيفة) ثم بعثت بها إلى هشام، فقال هشام بن العاص: فلما قدمت علي خرجت بها إلى ذي طوى فجعلت أصعد بها وأصوب لأفهمها..[٦٥].

بل إن أدوات الكتابة كانت متوفرة حتى في سفره ×، فقد اخرج البخاري في حديث الهجرة عن سُرَاقَةَ بْنَ جُعْشُمٍ، قَالَ: فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ[٦٦].

إذا ثبت هذا، فإن ما نقل عن زيد (فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف..الخ) يحتاج إلى إعادة النظر في فهمه ، فما حاجته لذلك، وهو يحفظ القرآن، والقرآن كله مكتوب محفوظ في بيت النبي ×، ومن حوله أيضا الخلفاء الراشدون وغيرهم وهم يحفظون القرآن، ويعتقد الباحث أن الطريقة التي كتب بها القرآن الكريم، في عهد النبي × وفي عهد خليفته الراشد أبي بكر الصديق ﷺ إنما كانت في الرقاع والجلود. قال المحاسبي:

(٦٠)رواه أبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء بَاب مَا جَاءَ فِي سَهْمِ الصَّفِيِّ (١٥٣/٣) ح ٢٩٩٩
(٦١)ابن هشام، السيرة النبوية، ١/ ٣٥٨
(٦٢)البيهقي، دلائل النبوة، ٢/ ٣١٢، ابن هشام، السيرة النبوية، ٣٦٩/١، ابن القيم، زاد المعاد، ٣١/٣
(٦٣)محمد الصادق عرجون، محمد رسول الله، ٢٥/٢
(٦٤)البيهقي، دلائل النبوة، ٢١٦/٢، ابن هشام ، السيرة النبوية، ٣٦٩/١
(٦٥)البيهقي ، دلائل النبوة، ٢: ٤٦٢
(٦٦)اخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابة، حديث رقم ٣٩٠٦، وانظر البيهقي، دلائل النبوة، ٤٨٧/٢

>كان ذلك-أي القرآن الكريم- بمنزل أوراق وجدت في بيت رسول الله، فيها القرآن منتشر ، فجمعها جامع، وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء<(٦٧).

على أنني لا ننفي أن يوجد من يكتب لنفسه في بعض الأدوات المذكورة ، ليتعلم الآيات التي نزلت، كما أشرنا إلى ذلك سابقا، لكن ليس لهذه أثر في جمع القرآن الكريم.

(٦٧)الزركشي، البرهان، ١٣٨/١

المبحث الخامس

جمع عثمان ﷺ للقرآن الكريم

رأينا أن السبب في جمع أبي بكر ﷺ للقرآن، كان خوفه من ضياع شيء منه بموت الحفظة، ولم تذكر المصادر سببا آخر غير هذا، وهذا يعني أن النص القرآني كان محل اتفاق من جميع الصحابة. بيد أن الدافع اختلف في عهد عثمان، فقد أخرج البخاري أن حذيفة بن اليمان كان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان، مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة...<(٦٨)

أخرج ابن أبي داؤد في لمصاحف من طريق أبي قلابة أنه قال >لما كانت خلافة عثمان، جعل المعلم يعلم قراءة الرجل، والمعلم يعلم قراءة الرحل، فجعل الغلمان يلتقون، فيختلفون حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين، حتى كفر بعضهم بعضا، فبلغ ذلك عثمان، فخطب فقال: >أنتم عندي تختلفون، فمن نأى عني من الأمصار أشد اختلافا<(٦٩)

يتفق النصان السابقان على السبب الذي دعا عثمان لإعادة الجمع ، وهو الاختلاف في القراءة، قال القاضي في الانتصار: >لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القراءة بين لوحين، وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي ×، وإلغاء ما ليس كذلك وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير، ولا تأويل أثبت مع تنزيل، ولا منسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه ومفروض قراءته وحفظه خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعده<(٧٠)

هذه النصوص والأخبار تجعلنا نتساءل ما الذي حدث بعد أبي بكر الصديق حتى اضطر عثمان إلى إعادة جمع القرآن أو قل نسخه؟، وما الذي أضافه عثمان على المصحف المجموع في عهد الصديق ﷺ؟ بمعنى آخر، ما الفرق بين العملين؟

يحدثنا ابن التين وهو أحد كبار شراح الحديث، عن هذا الفرق، فيقول: >الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان ، أن جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء، لذهاب حملته، لأنه لم يكن مجموعا في موضع واحد، فجمعه في صحائف مرتبا لآيات سورة على ما وقفهم النبي ×، وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القراءة ، حتى قرؤوه بلغاتهم على اتساع اللغات، فأدى ذلك ببعضهم إلى تخطئة بعض، فخشي من تفاقم الأمر في ذلك، فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد، مرتبا لسورة، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجا بأنه نزل بلغتهم، وإن كان

(٦٨)أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، رقم الحديث: ٤٩٨٧
(٦٩)العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري، ١٨/٩، الزرقاني، ١: ٢٥٥
(٧٠)الباقلاني، الانتصار، ٦٥/١

وسع في قراءته بلغة غيرهم رفعا للخرج والمشقة في ابتداء الأمر، فرأي أن الحاجة إلى ذلك انتهت فاقتصر على لغة واحدة<(٧١).

هذا الذي يذكره العلامة ابن التين غير مقنع، بالنسبة لنا على الأقل، خاصة إذا علمنا أن قراءة كبار الصحابة واحدة ، وهي القراءة التي سمعوها من النبي ×، كما نقل الزركشي عن أبي عبد الرحمن السلمي قوله: >كانت قراءة أبي بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت والمهاجرين والأنصار واحدة، كانوا يقرءون القراءة العامة ، وهي القراءة التي قرأها رسول الله × على جبريل مرتين في العام الذي قبض فيه، وكان زيد قد شهد العرضة الأخيرة، وكان يقريء بها حتى مات، ولذلك أعتمده الصديق في جمعه ، وولاه عثمان كتبة المصحف<(٧٢) فكيف يسع الناس أن يقرأوا غير القراءة التي يقرأ بها قراء الصحابة وعلمائهم ، وعامة المهاجرين والأنصار، وكيف يتصور أن يرخص للعرب أن يقرأوا القرآن بلهجاتهم >على اتساعها< وهو كلام الله، معجز بلفظه ومعناه؟ ثم إذا كانت هذه رخصة من النبي × فكيف يحجر عليهم ذلك؟

لعلنا نقبل لأول وهلة ما ذكره الحارث المحاسبي وغيره، أن منشأ هذا الاختلاف هو (الأحرف السبعة)، يقول:

>والمشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان، وليس كذلك ، إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والأنصار، لما خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات ، فأما قبل ذلك فقد كان المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التي أنزل بها القرآن ، فأما السابق إلى جمع الجملة فهو الصديق وقد قال علي: لو وليت لفعلت بالمصاحف الذي فعل عثمان<(٧٣).

وهذا يقودنا للحديث في المبحث التالي عن هذه الأحرف وما قيل فيها.

(٧١)العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري، ٩/ ٢١، السيوطي، الاتقان، ٣٩١
(٧٢)الزركشي، البرهان، ١: ٣٣٢
(٧٣)السيوطي، الاتقان، ٣٩٢

المبحث السادس
معنى الأحرف السبعة

ورد في الأحرف السبعة عدد من الأحاديث منها الصحيح ومنها ما هو دون الصحيح، ولعل أشهر هذه الأحاديث وأصحها ما أخرجه الإمام البخاري ومسلم وأصحاب السنن عن عمر بن الخطاب ﷺ قال:سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها. وكان رسول الله × أقرأنيها، فكدت أعجل عليه، ثم أمهلته حتى انصرف، ثم لببته بردائه فجئت به رسول الله فقلت:يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأتنيها، فقال رسول الله: أرسله، ثم قال: اقرأ يا هشام. فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله: هكذا أنزلت. ثم قال لي: اقرأ، فقرأتها، ثم قال: هكذا أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه(٧٤).

والحديث نفسه أخرجه الإمام الربيع في مسنده في باب: ما جاء في القراءات السبع عن أبي عبيدة قال بلغني أن عمر بن الخطاب ﷺ، سمع هشام بن حكيم يقرأ سورة الأنفال على غير قراءته هو ، وكان رسول الله × أقرأنيها فلببته بردائي فجئت به رسول الله..(٧٥) الخ الحديث.

ونظرا لكثرة الأحاديث الواردة في الأحرف السبعة، ذكر القرطبي عن ابن حبان أنه بلغ الاختلاف في معنى الأحرف السبعة إلى خمسة وثلاثين قولا(٧٦)، والذي يهمنا في المقام أن نعرف رأي علماء الإباضية في الموضوع، وعليه فإنه من المناسب أن ننقل تعليق الإمام أبو عبيده(٧٧) وهو نفسه راوي الحديث الذي أخرجه الإمام الربيع :

قال أبو عبيدة: >اختلف الناس في معنى قول الرسول ×، نزل القرآن على سبعة أحرف، قال بعضهم على سبع لغات ، وقال بعضهم على سبعة أوجه، وعد ووعيد، وحلال وحرام ومواعظ وأمثال واحتجاج، وقال بعضهم حلال وحرام وأمر ونهي وخبر ما كان قبل وخبر ما هو كائن، وأمثال، وقد قيل لا يوجد حرف واحد من القرآن يقرأ على سبعة أوجه، والله أعلم بحقيقة التفسير<(٧٨).

قال شارح المسند: قوله (سبع أحرف) أي قراءات وكانت القراءة في عرفهم تسمى حرفا..قال: >كثر اختلاف الناس في معنى الحديث.. على نحو أربعين قولا، ذكر أبو عبيدة منها ثلاثة أصحها الأول: وهو قوله على سبع لغات وهو قول أبي عبيد، وثعلب والأزهري وآخرون، واستقرب بعضهم

(٧٤)البخاري، ٦٦ كتاب فضائل القرآن.
(٧٥)باب نزل القرآن على سبعة أحرف، حديث رقم ٤٩٩٢
(٧٦)أنظر، ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ٩/ ٢٣
(٧٧)أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي بالولاء ، تتلمذ على يد الإمام جابر بن زيد، وخلفه في إمامة الإباضية
(٧٨)أخرجه الربيع ، الباب الثالث، ما جاء في القراءات السبع، انظر شرح المسند، ١: ٣١-٣٣، واخرجه البخاري، (٥) كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، رقم الحديث: ٤٩٩١

قول من قال أن المراد سبعة أوجه من المعاني المتفقة بألفاظ مختلفة نحو أقبل وتعال وأعجل وأسرع...وأما القولان الآخران في كلام أبي عبيدة فلا مدخل لهما في معنى الحديث، والعجب ممن قال بها.. وأما قوله (لا يوجد حرف من القران يقرأ على سبعة أوجه) فبيس بشيء لأن اللغات لسع قد اتفقت في أكثر المواضع واختلفت في اليسير ولا يلزم أن يكون الخلاف في كلمة واحدة بل قد تخالف هذه في كلمة وهذه في أخرى وهلم جرا<(٧٩).

ونظرا للغموض الذي يكتنف معنى الحديث لم يجزم الإمام أبو عبيده بشيء، ولم يشأ الشارح وهو الإمام السالمي، رحمه الله، أن يترك الأمر كما تركه سلفه أبو عبيده ، فاختار القول الأول، وكأنه فهم من تقديم أبي عبيده لهذا القول أنه هو المختار عنده، وأضاف إلى الثلاثة قولا رابعا لا يقل شهرة عن القول الأول، وحسب هذا القول شهرة أنه رأي الإمام الطبري ومن تبعه. ثم ضعف السالمي القولين الأخيرين ، وهما جديران بالتضعيف.

وهذا الذي اختاره الإمام السالمي سبقه إليه شيخ مشايخه العلامة سعيد بن خلفان الخليلي، رحمه الله، ففي جواب له عن سؤال عن معنى حديث >نزل القرآن على سبعة أحرف، كلها شاف كاف< قال رحمه الله:

قيل على سبعة أحرف أي على سبعة أوجه في القراءة، ويرده أن ذلك قلما يجتمع في كلمة، وقيل: على سبع لغات: بلغة قريش وتميم، وعدوها كذلك ، وهي متفرقة في القراءة فيها في القرآن كله، وإن لم تجتمع كلها في كلمة بعينها فهي كذلك، وسياق الحديث اقرب إلى الدلالة على هذا المعنى، لأنه ورد بعد تنازع بعض الصحابة في القراءة فقال: >إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف، فاقرءوا ما تيسر منه<(٨٠).

غير أننا نفهم معنى مختلفا عند العلامة ابن بركة كما في كتابه الجامع إذ يقول:

فأما تفسير قول رسول ×: >أنزل القرآن على سبعة أحرف< قال بعض أهل العلم بالقرآن ذهب إلى أن السبعة الأحرف: وعد ووعيد، وحلال وحرام، ومواعظ وأمثال، واحتجاج، وقال بعضهم حلال وحرام، وأمر ونهي، وخبر ما كان قبل وخبر ما هو كائن بعد، وأمثال، وقول قوم هي سبعة أوجه من اللغات متفرقة في القرآن، لأنه لا يوجد فيه حرف واحد قرئ على سبعة أحرف، وقال بعضهم: هي سبع لغات في الكلمة. وقد تكلم أهل العلم في هذا المعنى وأكثروا وثبتوا معنى قولهم بالاحتجاج الصحيح، وهو معروف في آثارهم وكلٌّ قد قال فيه بما يحتمل جوازه، ألا ترى أن الألفاظ قد تختلف، ولا يختلف المعنى لاختلاف الألفاظ، والألفاظ والاختلاف فرعان: اختلاف تغاير واختلاف تضاد، لا يجوز وليست واحدة والحمد لله، في شيء من كتاب الله تعالى، إلا في الأمر والنهي من الناسخ والمنسوخ، واختلاف التغاير جائز، وذلك قوله: (وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ) بضم الألف والتشديد، أي بعد حين،

(٧٩)السالمي ، شرح الجامع الصحيح، ١: ٣٣
(٨٠)الخليلي، الإمام سعيد بن خلفان، أجوبة المحقق الخليلي، ٣٧٥/١

وبعد أَمَه بفتح الألف والتخفيف وتبيين الهاء، أي بعد نسيان، إلا أنه قد يجوز أن يكون اجتمع المعنيان ليوسف، صلى الله عليه، وكذلك قوله: (إذ تلقونه) بالتخفي وكسر اللام، وتلقونه بالتشديد وفتح اللام، ولأنه قد يجوز اجتماع المعنيين فيه، لأنهم قبلوه، وقالوا: إنه كذب، وكذلك قوله: (بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا) على الخبر وباعد على الدعاء وكذلك قوله: لقد علمت ما أنزل هؤلاء، بفتح الهاء، وعلمت (برفعها) لأن المعنيين صحيحان موجودان وأشباه هذا كثير[٨١].

وقد تابع ابن بركة في هذا الرأي العوتبي في الضياء، والسعدي في قاموس الشريعة، وآخرون[٨٢].

والفرق بين الرأيين كما يتبادر لنا من الأمثلة، أن هذا الأخير أقرب إلى القول بأن الأحرف معناها وجوه القراءة ، بينما الأول يرى أنها سبع لغات للعرب متفرقة في القرآن الكريم. وقد ضعف ابن عبد البر هذا الرأي وقال: <أنكر أهل العلم أن يكون معنى الأحرف اللغات ، لما تقدم من اختلاف هشام وعمر ولغتهما واحدة>[٨٣]. كما يؤخذ على أصحاب هذا القول اختلافهم في تعيين هذه اللغات وحصرها في سبع، وقد ذكر اللغويون من لغات العرب في القرآن الكثير، فقد ألف أبو عبيد نفسه كتابا جمع فيه عددا كبيرا من مفردات القرآن نسبها إلى مختلف لغات العرب، وهي غير منحصرة فيما ذكروا[٨٤].

بقي قول آخر لا يقل أهمية وشهرة من الأقوال السابقة، وهو قول ابن قتيبة، وأبو الفضل الرازي، وابن الحزري، ونكتفي هنا بإيراد قول الأخير منهم: قال ابن الجزري[٨٥]:

إني تتبعت القراءات صحيحها وشاذها، وضعيفها ومنكرها، فإذا هو يرجع إلى سبعة أوجه من الاختلاف لا يخرج عنها:

إما في الحركات بلا تغيير في المعنى والصورة نحو (البخل) بأربعة أوجه، و(يحسب) بوجهين.

أو بتغيير في المعنى فقط، نحو: (فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ)، و(وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ)و(أُمَّةٍ).

وإما في الحروف بتغيير المعنى لا الصورة نحو (تَبْلُواْ) و(تَتْلُواْ).

أو عكس ذلك نحو (بصطة)، و (بسطة)، (الصراط)، و (السراط).

أو بتغييرهما معا نحو (أشد منكم)، و (منهم)، (يأتل)، و (يتأل).

---

(٨١)ابن بركة ، كتاب الجامع، ٧٥/١-٧٦

(٨٢)انظر، العوتبي، الضياء، ٣٤٦/٢، خميس السعدي، قاموس الشريعة، ١٩١/١، محمد بن عمر، حاشية الترتيب، ٣٤/١

(٨٣)العسقلاني، ابن حجر ، فتح الباري، ٢٨/٩

(٨٤)انظر، عبدالعزيز القاري، حديث الأحرف السبعة، ص ٥٥

(٨٥)انظر عبد العزيز القاري، حديث الأحرف السبعة، ص٥٥

وإما في التقديم والتأخير نحو (فيقتلون ويقتلون)
أو الزيادة والنقصان نحو (أوصى)، (وصي)، (والذكر والأنثى)
وبناء على الاختلاف في الأقوال في الأحرف السبعة ، اختلفوا في جمع عثمان للمصحف، هل ضم الأحرف السبعة جميعها، أم اقتصر على حرف واحد منها.

قال أبو شامة >وقد اختلف السلف في الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، هل هي مجموعة في المصحف الذي بأيدي الناس اليوم أو ليس فيه إلا حرف واحد منها؟ مال ابن الباقلاني إلى الأول، وصرح الطبري وجماعة بالثاني وهو المعتمد....< وإذا جاز لنا أن نختار من بين هذه الأقوال فإنه يعجنا القول بأن معنى الأحرف السبعة هو:

وجوه متعددة متغايرة منزلة من وجوه القراءات ، يمكنك أن تقرأ بأي منها فتكون قد قرأت قرآنا منزلا، والعدد هنا مراد، بمعنى أن أقصى حد يمكن أن تبلغه الوجوه القرآنية المنزلة هو سبعة أوجه، وذلك في الكلمة الواحدة ، ضمن نوع واحد من أنواع الاختلاف والتغاير ، ولا يلزم أن تبلغ الأوجه هذا الحد في كل موضع من القرآن<(٨٦).

وهذا القول ذكره العلامة ابن حجر في شرحه للحديث، فقال:

>باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، أي على سبعة أوجه يجوز أن يقرأ بكل وجه منها، وليس المراد أن كل كلمة ولا جملة تقرأ على سبعة أوجه، بل المراد أن غاية ما انتهى إليه عدد القراءات في الكلمة الواحدة إلى سبعة<(٨٧)

وهذا القول –كما نرى- يتفق مع حديث عمر وهشام السابق، إذ أنكر عمر على هشام قراءته لسورة الفرقان، على غير ما علم من القراءة، ولا شك أن القرآن من الصحابة بمكان، ولا يقبلون تغيير حرف واحد منه، فكيف بكلمة أو بكلمات، وعليه يكون القرآن الذي بين أيدينا مشتمل على هذه الأحرف كلها، ولم يحذف الخليفة عثمان منها شيئا، كما هو رأي الإمام الطبري ومن قال بقوله، إذ كيف يسع الخليفة الراشد أن يلغي شيئا من كتاب الله، أنزله الله على نبيه، ورضي للناس أن يقرأوا به. قال ابن حجر: >والحق أن الذي جمع في المصحف هو المتفق على إنزاله المقطوع به المكتوب بأمر النبي ×، وفيه بعض ما اختلف فيه الأحرف السبعة لا جميعها ، كما وقع في المصحف المكي "تحري من تختها الأنهار" في آخر براءة وفي غيره بحذف (من) وكذا ما وقع من اختلاف مصاحف الأمصار من عدة واوات ثابتة في بعضها دون بعض وعدة هاءات وعدة لامات ونحو ذلك، وهو محمول على أنه نزل بالأمرين معا، وأمر النبي بكتابته لشخصين أو أعلم بذلك شخصا واحدا وأمره بإثباتهما على الوجهين، وما عدا ذلك من القراءات مما لا يوافق الرسم فهو مما كانت القراءة جوزت به توسعة على الناس وتسهيلا، فلما آل الحال إلى ما وقع من الاختلاف في زمن عثمان

(٨٦)انظر عبد العزيز القاري، حديث الأحرف السبعة، ص٦٥
(٨٧)العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري، ٩/ 23

وكفر بعضهم بعضا اختاروا الاقتصار على اللفظ المأذون في كتابته وتركوا الباقي<(٨٨).

وهذا الذي ذكره العلامة ابن حجر هو زيادة إيضاح لما اختاره في شرح الحديث، ونحن نعتقد أنه أقرب الأقوال إلى الصحة، يؤيد ذلك أن ابن حجر نفسه تتبع المواضع التي اختلف في قراءتها في سورة الأنفال، فبلغت عنده نحوا من مائة وثلاثين موضعا، غير المشهور منها ستة وخمسون موضعا. قال: >على أني تركت أشياء مما يتعلق بصفة الأداء من الهمز والمد والروم والإشمام ونحو ذلك<(٨٩).

أما سبب اختلاف الناس في عهد عثمان، والذي حمله على إعادة كتابة القرآن، فقد تقدم أن العلامة ابن حجر يرى أنها تلك القراءات التي لم تكن مكتوبة ، وإنما أبيحت لهم من أجل التيسير عليهم، فلما أفضت إلى الاختلاف، اقتصر على المكتوب، وترك الباقي، ونقل عن ابن قتيبة قوله:

كان من تيسير الله أن أمر نبيه أن يقريء كل قوم بلغتهم ، فالهذلي يقرأ عتى حين، يريد حتى حين، والأسدي يقرأ تعلمون بكسر أوله ، والتميمي يهمز والقرشي لا يهمز، قال ولو أراد كل فريق منهم أن يزول عن لغته وما جرى عليه لسانه طفلا وناشئا وكهلا لشق عليه غاية المشقة ، فيسر ذلك بمنه، ولو كان المراد أن كل كلمة منه تقرأ على سبعة أوجه لقال مثلا أنزل سبعة أحرف، وإنما المراد أن يأتي في الكلمة وجه أو وجهان أو ثلاثة أو أكثر إلى سبعة<(٩٠).

وهذا الذي ذكراه يتفق مع اختيارنا، من حيث إن الاختلاف في عهد عثمان كان سببه هذه الإباحة التي لا تؤثر على لفظ القرآن ولا تغير معناه، وإنما يفهم حين يقرأ الهذلي (عتى حين)، أن أصل اللفظ القرآني هو (حتى حين)، ويفهم كذلك حين يقرأ الأسدي (تعلمون) بالكسر أن التاء في اللفظ القرآني المنزل مفتوحة. ولما كان كسر الأسدي للحرف، وقلب الهذلي الحاء عينا، لا يضران لفظ القرآن المنزل ، ولا يغيرانه، سمح لهما بما يستطيعان، فلما خيف أن يؤدي ذلك إلى اللبس والاختلاف، منع، واقتصر على اللفظ المنزل. لكننا لا نتفق مع ابن قتيبة في عده هذا من الأحرف السبعة ، كما سبق أن بينا، والله أعلم.

وإن قيل إن الأحرف السبعة إنما أنزلت-كما تشير بعض الأحاديث- للتسهيل على الناس، فلما انقضت هذه الحاجة، وصارت سبب فتنة ، استغني عنها، فنقول إن الله قد يسر القرآن للذكر، (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ)، وقد نزل على قوم العربية لغتهم، فكيف يظن بهم عدم القدرة على قراءته، وإن اختلفت لهجاتهم بعض اختلاف، فلا يصل بهم الحال إلى ما ذكر، ونحن نشاهد اليوم صبية من الأعاجم لا يحسنون العربية، لكنهم إذا قرأوا القرآن

(٨٨)العسقلاني، ابن حجر ، فتح الباري، ٢٩/٩-٣٠
(٨٩)العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري، ٩/ ٣٦-٣٨
(٩٠)العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري، ٢٨/٩

أجادوا فيه إجادة العربي، فكيف بمن العربية لغته، بل كيف بالعرب الأول الذين كانت العربية صناعتهم . ولم نر نصا موثوقا يمكن الاعتماد عليه أن من العرب من لم يستطع النطق بالقرآن، غير روايات ضعيفة لا تغير في هذه الحقيقة شيئا[٩١].

(٩١)من هذه الروايات ما ذكر أن ابن مسعود ﷺ، كان يقرئ احد الاعراب >إن شجرة الزقوم طعام الأثيم< فلم يستطع ذلك الأعرابي ، نطق (الأثيم)، فقال ابن مسعود اتحسن أن تقول >طعام الفاجر< وهذه الروايات وأمثالها إن صحت فهي مخرجه على التوسعة على الناس في ما لا يستطيعون، ولا يترك الأمر كله لعدم القدرة على بعضه، ولا يعني بحال أن الآية نزلت كذلك.

الخاتمة

مسألة جمع القرآن الكريم، كما تبين من البحث، من أكثر قضايا علوم القرآن أهمية، والتي لا تزال موضع بحث، وقد ناقشت هذه المقالة أهم مباحثها، محللة ما ورد فيها من صحيح الرواية، ومضيفة ما ورد في كتب الفقه الإباضي من آراء يعتقد الباحثان أنه بجانب قيمتها العلمية الكبيرة، فقد تفتح نافذة لطلاب الدراسات العليا لأبحاث مستقبلية، ويمكن تلخيص أهم نتائج هذه المقالة كما يلي:

- يلح متقدمي علماء الإباضية على أن القرآن الكريم كان مجموعا في عهد النبي × في مصحف واحد، وتبين من مناقشة الروايات أنه كان مكتوبا في عهد النبي ×، ولكنه لم يكن مجموعا في مصحف واحد.
- تبين كذلك أن الأدوات التي كتب عليها القرآن الكريم في ذلك العهد كانت الجلود والرقاع، وربما القرطاس، أما الأدوات الأخرى التي وردت في بعض الروايات كالأضلاع والأقتاب، فقد كانت للتعليم لا غير.
- تؤكد المقالة أن زيدا اعتمد في جمعه للقرآن في عهد الصديق ﷺ، على النسخة المكتوبة بين يدي النبي ×، المحفوظة عند أزواجه، وما تتبعه لما عند الصحابة إلا لمزيد التثبت.
- أثبتت المقالة أنه لا فرق بين النسخة التي كتبها زيد في عهد الصديق، والنسخة التي كتبت في عهد عثمان ، وأن عمل عثمان اقتصر على ما هو مكتوب في تلك النسخة، وأشهره، وطمس ما سواه مما كان سببا للفتنه.
- يظهر أن متقدمي الإباضية يميلون إلى رأي ابن جزري في معنى الأحرف السبعة، وأنها أصول القراءات.
- تؤكد المقالة كذلك على القرآن الكريم الذي بين أيدينا اليوم هو الذي أنزله الله على نبيه، وجمعه زيد في عهد الصديق ونقله عثمان رضي الله عنهم، مشتمل على الأحرف السبعة جميعها.

المراجـــــع

١. اسبينداري، عبدالرحمن عمر محمد، كتابة القرآن الكريم في العهد المكي، نشر المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.
٢. الباقلاني، القاضي أبو بكر، الانتصار للقرآن، ت: محمد القضاة، ط١، دار الفتح للنشر والتوزيع، الأردن، دار ابن حزم، دمشق، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
٣. ابن بركة: عبدالله بن محمد، كتاب الجامع، ت: عيسي الباروني، وزارة التراث القومي، سلطنة عمان.
٤. البيهقي، أحمد بن الحسين، دلائل النبوة، حققه: د. عبد المعطي قلعجي، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥
٥. الجزائري، طاهر، التبيان لبعض المباحث المتعلقة بعلوم القرآن، اعتنى به : عبدالفتاح أبو غده، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٣٣هـ
٦. الجوزية، ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، حققه: شعيب الارنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط، ط ١٥ ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م
٧. الخليلي، الإمام سعيد بن خلفان، أجوبة المحقق الخليلي، ت: بدر بن عبدالله الرحبي، وأخرون، ط٢، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
٨. أبو داؤد، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داؤد، تعليق: عزت الدعاس، عادل السيد، ط١، دار الحديث للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م.
٩. الدليمي، أكرم عبد خليفة ، جمع القرآن الكريم ، دراسة تحليلية لمروياته، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦
١٠. الرومي، فهد عبدالرحمن، جمع القرآن في عهد الخلفاء الراشدين، ط١، مركز تيسير، الرياض، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
١١. الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم لقرآن، دار الفكر ، بيروت، ١٩٨٨م.
١٢. الزركشي، محمد بن عبدالله، البرهان في علوم القرآن، ت: يوسف المرعشلي، وأخرون، ط١، دار المعرفة ، بيروت، ١٩٩٠م
١٣. السالمي ، عبدالله بن حميد، شرح الجامع الصحيح، مكتبة الاستقامة، مسقط، سلطنة عمان.
١٤. السعدي، جميل بن خميس، قاموس الشريعة الحاوي طرقها الوسيعة،
١٥. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن.
١٦. الشقصي، منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، ت: سالم بن حمد الحارثي، وزارة التراث القومي ، سلطنة عمان،
١٧. الشيرازي، السيد محمد الحسيني، متى جمع القرآن، ط١، منشورات ديوانية الإمام الشيرازي، الكويت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
١٨. عبد الحميد، هشام كمال، الحقيقة والأوهام في قضية جمع القرآن بعد العهد النبوي، ،ط١، دار البشير ، القاهرة، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م

١٩. العسقلاني، أحمد بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقمه محمد فؤاد عبد الباقي، أشرف على تصحيحه: عبد العزيز بن باز، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.
٢٠. العوتبي، سلمة بن مسلم، كتاب الضياء، ت: مصطفى شريفي، سليمان بابزيزالوارجلاني، وزارة الأوقاف والشئون الدينية، سلطنة عمان، ط١، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م
٢١. القاريء، عبدالعزيز عبدالفتاح، حديث الأحرف السبعة، دراسة لأسانيده، ومتنه، واختلاف العلماء في معناه، وصلته بالقراءات القرآنية، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
٢٢. أبو عبدالله ، محمد بن عمر، حاشية الترتيب، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان، ١٤٠٢خـ/١٩٨٢م.
٢٣. محمد شرعي أبو زيد، جمع القرآن في مراحله التاريخية من العصر النبوي إلى العصر الحديث، بحث ماجستير مقدم إلى كلية الشريعة، جامعة الكويت، ١٤١٩هـ.
٢٤. محمد ناصر، الشيباني سلطان، معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق،ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م
٢٥. ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)
٢٦. ابن هشام، السيرة النبوية، حققه: مصطفى السقا، وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.